

غاية الإحسان

فى فضل شهر رمضان
و فضل زكاة الفطر

تأليف

أبي الفضل

عبد الله الصديق الغمارى

الطبعة الرابعة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

الناشر



تأسست ١٩٣٥م

القاهرة



رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٩٩/١٦٤٥٨
الترقيم الدولى B.N.SI.
٩٧٧-٥٤٣٧-٦٩-٥

لصاحبها: علي يوسف سليمان وأولاده
١٢ شارع الصنادقية بالأزهر ت : ٢٥٩٠٥٩٠٩
١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٢٥١٤٧٥٨٠
جوال: ٠١٢٢٢٧٥٠٩٤٢
رمز بريدى ١١٥١١ ـــ الأزهر ـــ القاهرة
Alqahirah٥٥@yahoo.com – Tarekali٥٩@yahoo.com

إهـــــــداء

..إلى الذين لم يراعوا حرمة هذا الشهر الكريم فأفطروا فيه .

.. إلى الذين لم يراعوا حرمة الصوم فأثموا فيه .

.. إلى الذيـن اتخـذوا شـهر رمضـان وسـيلة لاقتـناص الملذات، وطريقا لنيل الشهوات .

.. إلى هؤلاء جميعا أهدى هذا الكتاب .

مقدمـــــــة

أسرار الصيام (شهر رمضان)

الحمد لله الغنى الكريم . الرؤوف الرحيم . خلق العباد على مراتب ودرجات . وجعل لَهم في أيام دهرهم مواسم للخيرات . فالسعيد من وفق لاغتنام تلك المواسم، واتخذ فيها لطاعة مولاه خطى ومراسم . أحمده سبحانه على ما وفق وهدى . واعتصم به جل شأنه من سلوك سبيل الردى .

وأشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك لَه شهادة ننجو بها من العذاب غدا وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسولَه أفضل من دعا الى طريق الَهدى ﷺ وبارك عليه وعلى آلَه وصحبه وسلم . ما كر الجديدان وتعاقب الملوان .

أما بعد: ــ

فإن شهر رمضان شهر كبير القدر، جليل الخطر ﴿ **أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاس وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهَدَى وَالْفُرْقَان** ﴾(البقرة: ١٨٥)، وأكرم الصائمين فيه باستجابة الدعاء وعموم الغفران وهيأ لَهم أسباب الطاعة فيه بفتح أبواب الجنان، وتغليق أبواب النيران، وتصفيد مردة الجان . وضاعف ثواب صومه مضاعفة لا يقدر قدرها إنسان . إلى غير ذلك من الفضائل التى يضيق عنها البيان . حتى لقد جاء وصفه فى بعض الأحاديث[١] بأنه سيد الشهور . وكيف لا ؟ وهو شهر تكثر فيه الخيرات ويعظم السرور . ويهذب الطباع ويلين العرائك . ويصير الصائمين أشبه بالملائك .

وهذا كتاب صغير الحجم . غزير العلم . كبير الفائدة . جم العائدة . يكشف لقارئه عن جوانب من فضل هذا الشهر العظيم ويبين عما ورد فيه من أنواع التكريم .

---

(١) في مسند البزار بإسناد ضعيف عن أبى سعيد الخدرى قال: قال النبي ﷺ {سيد الشهور شهر رمضان وأعظمها حرمة ذو الحجة}

ما أوردت فيه ألا حديثا صحيحا يحتج به فى كل حال أو حديثا ضعيفا يقبل فى فضائل الأعمال.وأبحث جنى ثمرة لينال كل قارئ من خيره، وحشوته بفوائد يحتاج إليها العالم قبل غيره . وقصدي بذلك أن تنالنى دعوة صالحة من بعض القراء الكرام . والله المسئول أن يكرمنا وأحبابنا بخير الدنيا والأخرة وأن يوفقنا ويستر عوراتنا، ويؤمن روعاتنا، بفضله وكرمه، إنه جواد كريم .

أبو الفضل

عبد الله محمد الصديق الغمارى الحسنى

كيف كان بدء الصيام

ثبت في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان يصوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان النبي ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزل رمضان كان رمضان الفريضة، وترك عاشوراء فكان من شاء صامه ومن شاء لم يصمه .

وفي الصحيحين عن ابن عمر ﷺ قال: كان عاشوراء يصومه أهل الجاهلية فلما نزل رمضان قال: {من شاء صامه ومن لم يشأ لم يصمه} وفي الصحيحين أيضا عن علقمه قال: دخل الأشعث بن قيس على ابن مسعود ﷺ وهو يطعم ـ بفتح الياء والعين أى يأكل ـ فقال: يا أبا عبد الرحمن اليوم عاشوراء، فقال ابن مسعود كان يصام قبل أن ينزل رمضان فلما نزل رمضان ترك فادن فكل .

وفيهما أيضا عن ابن عباس ﷺقال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ما هذا ؟ قالوا: هذا يوم صالح نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: {فأنا أحق بموسى منكم} فصامه وأمر بصيامه .

قلت: كانت قريش تصوم يوم عاشوراء وتعظمه بكسوة الكعبة فيه، وجاء في المجلس الثالث من مجالس الباغندى الكبير عن عكرمة أنه سئل عن ذلك فقال: أذنبت قريش ذنبا فى الجاهلية فعظم في صدورهم، فقيل لهم صوم عاشوراْ يكفر ذلك. وأما صوم اليهود يوم عاشوراء فهو شكر لله على انجاء موسى وبنى إسرائيل، وإغراق فرعون، وظاهر هذه الأحاديث التى أوردناها أن صوم يوم عاشوراء كان مفروضا ثم نسخ بفرضية رمضان وبهذا قال الحنفية، وهو وجه فى مذهب الشافعية، والمشهور عندهم، وهو قول الجمهور ـ أنه لم يجب صوم قط قبل رمضان لا عاشوراء ولا غيره، والأول أصح، وكان فرضية صوم عاشوراء سنة قدوم

النبي ﷺ المدينة، وفى السنة الثانية نزل صوم رمضان .

* * * * * * * *

كبف تدرجت أحوال الصيام

روى الإمام أحمد فى المسند عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال:

فأما أحوال الصلاة: فإن النبي ﷺ وآله قدم المدينة وهو: يصلى سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس، ثم إن الله ﷻ أنزل عليه ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا** ﴾(البقرة: ١٤٤)، فوجهه الله إلى مكة، هذا حول، قال: وكانوا يتجمعون للصلاة ويؤذن بها بعضهم بعضا حتى نقسوا أو كادوا ينقسون - أي كادوا يستعملون الناقوس للإعلام بالصلاة - ثم إن رجلا من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد بن عبد ربه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت إنى لم أكن نائما لصدقت إني بينما أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة فقال: الله اكبر الله اكبر اشهد ألا اله إلا الله - مثنى - حتى فرغ من الآذان ثم أمهل ساعة، ثم قال مثل الذي قال غير انه يزيد فى ذلك: قد قامت الصلاة - مرتين - قال رسول الله ﷺ : {علمها بلالا فليؤذن بها} فكان بلال أول من أذن بها، قال وجاء عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا رسول الله قد طاف بي مثل الذي طاف به غيره أنه سبقني، فهذان حالان قال: وكانوا يأتون الصلاة وقد سبقهم النبي ﷺ ببعضها فكان الرجل يشير إلى الرجل: كم صلى؟ فيقول واحدة أو اثنتين، فيصليهما ثم يدخل مع القوم فى صلاتهم، قال فجاء معاذ فقال: لا أجده على حال أبدا إلا كنت عليها ثم قضيت ما سبقنى، قال فجاء وقد سبقه النبي ﷺ ببعضها قال:

فثبت معه فلما قضى رسول الله ﷺ قام فقضى فقال رسول الله ﷺ {إنه سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا} فهذه ثلاثة أحوال .

وأما أحوال الصيام: فإن رسول ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ﴾(البقرة: ١٨٣-١٨٤) فكان من شاء صامه ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه، ثم أن الله ﷻ أنزل الآية الأخرى ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاس وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهدَى وَالْفُرْقَان فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾(البقرة: ١٨٥) فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام، فهذان حالان، قال: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا امتنعوا ثم إن رجلا من الأنصار يقال له صرمة، كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله حتى صلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فاصبح صائما فرآه رسول الله ﷺ وقد جهد جهداً شديداً فقال: مالي أراك قد جهدت جهداً شديداً ؟ قال يا رسول الله إني عملت أمس فجئت فألقيت نفسي فنمت فأصبحت حين أصبحت صائما . قال: وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام، فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك فأنزل الله ﷻ ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَام الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهنَّ عَلِمَ الله أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ الله لَكُمْ وَكلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾(البقرة: ١٨٧) وأخرجه أيضا أبو داود والحاكم .

فتبين من هذا الحديث أن الصيام تدرج على ثلاثة أحوال:

إحداها: صيام عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر، ثم فرض الصيام على التخيير بمعنى أن من شاء صام ومن شاء أفطر وفدى بالإطعام .

ثانيهما: نسخ التخيير وفرض الصيام على كل مقيم صحيح، وبقي الإطعام في حق الشيخ الهَرم الذي لا يستطيع الصيام . قال البخاري في الصحيح وأما الشيخ الكبير الذي لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعد ما كبر- عاما أو عامين- عن كل يوم مسكينا خبز ولحما وأفطر أهـ، وكذلك فعل عطاء بعد ما كبر وضعف عن الصيام .

ثالثهما: إباحة الأكل والشرب طوال الليل قبل النوم وبعده، وكان قبل ذلك من نام قبل أن يأكل وجب عليه مواصلة الصوم إلى اليوم التالي وكان سبب الإباحة والتخفيف حادثة الأنصاري وعمر ﷺ .عنهما كما جاء في هذا الحديث الذي نتكلم عنه، وثبت مثلَه في صحيح البخاري أيضا، وصرمة الأنصاري اضطرب الرواة في أسمه كثيرا والصواب في ذلك على ما حققه الحافظ ابن عبد البر أنه: أبو قيس صرمة ـ بكسر الصاد وسكون الراء ـ بن أبي أنس قيس بن مالك بن عدى. ابن عامر بن غنم ـ بفتح الغين وسكون النون ـ بن عدى بن النجار قال ابن إسحاق كان صرمة رجلا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا لَه فاتخذه مسجدا لا يدخل عليه طامث، ولا جنب وقال: أعبد رب إبراهيم، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم فحسن إسلامه وهو شيخ كبير وكان قوالا بالحق، معظما لله في الجاهلية، قال سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد قال: سمعت عجوزاً من الأنصار تقول: رأيت ابن عباس يختلف الى صرمة بن قيس يتعلم منه هذه الأبيات – قالَها صرمة في مدح النبي ﷺ وهي:

ثوى في قريش بضع عشر حجة ... يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

ويعرض في أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوى ولم ير واعيا

فلما أتانا واستقر به النوى وأصبح مسرورا بطيبة راضيا

وأصبح لا يخشى ظلامة ظالم بعيد ولا يخشى من الناس باغيا

بذلنا لَه الأموال من حل مالنا وأنفسنا عند الوغى والتآسيا

نعادى الذي عادى من الناس كلَهم جميعا وإن كان الحبيب المواتيا

ونعلم أن الله لاشىء غيره وأن كتاب الله أصبح هاديا

* * * * * * * *

هل فرض صوم رمضان على من قبلنا ؟

اختلف العلماء: هل كان صوم رمضان مفروضا على أهل الكتاب من قبلنا أو لا؟ فذهب الحسن البصري والسدى ألى أن رمضان كان مفروضا على الأمم السابقة واستدلا بحديث رواه ابن أبى حاتم عن ابن عمر مرفوعا {صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم} وهو حديث ضعيف .

وروى الطبرانى فى الأوسط عن دغفل بن حنظلة النسابة عن رسول الله ﷺ قال: {كان على النصارى صوم شهر رمضان، وكان عليهم ملك فمرض فقال لئن شفاه الله ليزدن عشره أيام، ثم كان عليهم ملك بعده فأكل اللحم فوجع، فقال لئن شفاه الله ليزدن ثمانية أيام، ثم كان عليهم ملك بعده فقال ما نفرغ من هذه الأيام أن نتمها ونجعل صومها فى الربيع فصارت خمسون يوما} . وإسناده صحيح إلا أن الطبرانى رواه فى الكبير بإسناد صحيح أيضا موقوفا على دغفل ولم يرفعه إلى النبي ﷺ، ودغفل بوزن جعفر لم تثبت لَه صحبة .

وذهب الجمهور إلى أن الصوم إنما فرض على الأمم السابقة مطلق الصوم غير مقيد برمضان .

وأخرج ابن جرير عن عطاء في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ﴾ (البقرة: ١٨٣-١٨٤) قال: كتب عليكم الصيام ثلاثة أيام من كل شهر وكان هذا صيام الناس قبل ذلك، ثم فرض الله شهر رمضان وورد مثله عن معاذ وابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك بن مزاحم وزاد: لم يزل هذا الصوم مشروعا من زمان نوح عليه السلام إلى أن نسخ الله ذلك بصوم رمضان أهـ .

ولهذا عد شهر رمضان من خصائصه ﷺ انظر كتاب الخصائص الكبرى للسيوطى .

* * * * * * * *

قصة الرجل الذي جاء يسأل عن الإسلام

ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أنس بن مالك قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد ؟ والنبي ﷺ وآله وسلم متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ ،فقال له الرجل: ابن عبد المطلب — أى يا ابن عبد المطلب – فقال له النبي ﷺ {قد أجبتك} فقال الرجل للنبي ﷺ: أنى سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد على في نفسك، فقال: {سل عما بدا لك} . فقال: أسألك بربك ورب من قبلك الله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال {اللهم نعم} . قال: أنشدك بالله الله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال {اللهم نعم} . قال: أنشدك بالله الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال {اللهم نعم} . قال: أنشدك بالله الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبي ﷺ {اللهم نعم} . فقال الرجل: آمنت بما

جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، وأنا ضمام بنى ثعلبة أخو بنى سعد بنى بكر .

وفى رواية عن أنس قال نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شىء فكان يعجبنا أن يجىء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أن الله أرسلك،قال {صدق} قال: فمن خلق السماء ؟ قال {الله} قال: فمن خلق الأرض ؟ قال {الله} قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال {الله} قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك ؟ قال {نعم} قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا؟ قال: {نعم} وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ؟ قال {صدق} فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: نعم،قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا ؟ قال {صدق} قال فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال {نعم} قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا ؟ قال {صدق} قال: ثم ولى وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ {لئن صدق ليدخلن الجنة} .

قلت: نهى الله الصحابة عن سؤال النبي ﷺ فيما لم ينزل به قرآن،ولا دعت إليه ضرورة تعليم مثلا،وكان سبب النهى ما رواه البخاري فى صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أبى؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾(المائدة: ١٠١) . حتى فرغ من الآية كلها .فكان الصحابة بعد نزول هذه الآية لا يسألون رسول الله ﷺ إلا لعارض مهم وكانوا يحبون أن يأتي الرجل الغريب العاقل يسأل رسول الله ﷺ فيستفيدون من ذلك، وممن وفد على رسول الله ﷺ من الغرباء العقلاء ضمام ـ بكسر الضاد ـ

بـن ثعلـبة أوفـده قومـه سـنة تسـع ، فأظهر من حسن أدبه وكمال عقلَه في سؤال الـنبي ﷺ مـا لفت نظر الصحابة إليه ، حتى قال عمر ﷺ : ما رأيت احسن مسالة ولا أوجـز مـن ضـمام، وقـال ابـن عـبـاس ﷺ : مـا سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام، ثـم لمـا رجـع ضـمام إلى قومـه بـنى سعد بن بكر صدقوه وآمنوا ، وفي هذه القصة فوائد ولطائف بينها شرائح الحديث .

* * * * * * * *

أســـهم الإسلام ثمانية

أخـرج الـبزار عن حذيفة ﷺ وأبو يعلى عن على عليه السلام عن النبي ﷺ قـال الإسـلام ثمانـية أسـهم، الإسـلام ـ يعـنى الشهادتين ـ سهم، والصلاة سهم، والـزكاه سـهم، والصـوم سهم، وحج البيت سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهى عـن المـنكر سـهم، والجـهـاد فـى سبيل الله سهم، وقد خاب من لاسهم لَه ، وورد موقوفا على حذيفة من كلامه ، قال الدرقطنى وغيره : وهو أصح أهـ . . .

قلـت: كانـت أسـهم الإسـلام ثمانـية ، على عدد أبواب الجنة وخصت هذه الأسـهم بالذكـر دون غيرهـا ، لأن الخمسـة الأولى أركـان الإسـلام وقواعـده والآمـر بالمعـروف والـنهى عـن المنكر بهما صلاح المجتمع ، واستقامة أحوالَه ولا خير فى مجتمع يخلو من القائمين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وانظر كيف لعن الله بني إسرائيل لتفريطهم فى هذا الواجب العظيم، قال تعالى ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَـنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَـانُوا لا يَتَـنَاهَوْنَ عَـنْ مُـنْكَرٍ فَعَلُـوهُ لَبِـئْسَ مَـا كَـانُوا يَفْعَلُـونَ** ﴾ (المائدة: ٧٨-٧٩) .

والجـهـاد أسـاس الديـن وعصـام الـيقين، به تدفع غائلة المعتدين وتنال العزة التى كتبها الله للمؤمنين وما هان المسلمون اليوم وامتهنت كرامتهم، وضاع استقلالَهم إلا

بتركهم الجهاد فى سبيل الله، وركونهم إلى الراحة وإقبالهم على مصالحهم الشخصية ولا صلاح يرجى لهم إلا بالرجوع إلى دينهم والعمل على استعادة مجدهم ومكافحة دول الاستعمار، وإزالة عوامل الشر والفساد، نسأل الله أن يلهمنا الرشاد والسداد .

* * * * * * * *

فتح أبواب الجنة فى رمضان

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: {إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين} . وفى رواية لمسلم {فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين} . غلقت بضم الغين وتشديد اللام المكسورة، وصفدت بضم الصاد وتشديد الفاء المكسورة .

قال عياض: يحتمل أنه على حقيقته، وأن ذلك علامة للملائكة على دخول الشهر وتعظيم حرمته ولمنع الشياطين من أذي المؤمنين، ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات وهى أسباب لدخول الجنة، وتغليق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين، عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات أهـ .

وقال التوربشتى فى شرح المصابيح: فتح أبواب السماء كناية عن تنزل الرحمة وإزالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد، تارة ببذل التوفيق، وأخرى بحسن القبول وغلق أبواب جهنم كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الفواحش والتخلص من البواعث على المعاصي بقمع الشهوات أهـ .

ورجح القرطبي وابن المنير وغيرهما أن فتح أبواب الجنة وغلق أبواب جهنم

وتصفيد الشياطين على ظاهره وحقيقته، وأنه لا ضرورة تدعو إلى تأويلَه، قال ابن المنير: وأما الرواية التى فيها أبواب الرحمة وأبواب السماء فمن تصرف الرواة، والأصل أبواب الجنة بدليل ما يقابلَه وهو غلق أبواب جهنم، وقال القرطبي: فإن قيل: نرى الشرور والمعاصي واقعة فى رمضان كثيرا فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك ؟

فالجواب: أن المعاصي إنما تقل عن بعض الصائمين، وهم اللذين صاموا صوما حافظو على شروطه وآدابه، أو أن المصفد بعض الشياطين وهم المردة كما جاء فى رواية النسائي {وتغل فيه مردة الشياطين} . والمزدة هم العتاة والأكثرون فسادا . أو أن المقصود تقليل الشرور فى رمضان، وهذا أمر مشاهد، فإن وقوع الشرور فى أقل منه فى غيره، أو أن تصفيد الشياطين أجمعين لا يمنع وقوع الشرور والمعاصي، لأنها تقع بأسباب أخرى كالنفوس الخبيثة. والعادات القبيحة، والشياطين الأنسية التى هي أقوى فى بعض الأحيان من الشياطين الجنية .

تنبيه: قال بعض العارفين: تصفيد الشياطين فى رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال لَه قد كفت الشياطين عنك، فلا تعتل بهم فى ترك الطاعة ولا فعل المعصية .

* * * * * * * *

صيام رمضان يكفر الذنوب

أخرج النسائي عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال {من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر لَه ما تقدم من ذنبه، ودن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر لَه ما تقدم من ذنبه} . ورواه أحمد بزيادة {وما تأخر} وإسناده هذه الزيادة صحيح

أيضا، والحديث فى الصحيحين بدون هذه الزيادة ، قال الخطابي: قولَه {إيمانا واحتسابا} أي نية وعزيمةِ وهو إن يصومه على التصديق والرغبة فى ثوابه، طيبة به نفسه ،غير كاره لَه ، ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب أ هـ .

وقال البغوى: قولَه {احتسابا} أي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه ، يقال: فلان يحتسب الأخبار أي يتطلبها أهـ .

واختلف فى الذنوب التى يكفرها صوم رمضان هل هي الصغائر والكبائر ؟ أو الصغائر فقط ؟ جزم بالأول ابن المنذر، وإليه ميل الآبي ، وجزم بالثاني إمام الحرمين ،وعزاه النووي للفقهاء ودليلَهم ما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ فى صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : {الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر} . فقيد تكفير الذنوب فى هذا الحديث باجتناب الكبائر.

قال الحافظ ابن حجر: وهو ـ أي التكفير المذكور ـ فى حق من لَه كبائر وصغائر، ومن ليس لَه إلا كبائر خفف عنة منها مقدار ما لصاحب الصغائر ومن ليس لَه صغائر ولا كبائر يزاد فى حسناته بنظير ذلك أهـ .

تنبيه: إنما يكفر صوم رمضان الذنوب كلَها أو بعضها على الخلاف إذا راعى الصائم حدوده وحافظ على شرائطه لما ثبت عن أبى سعيد الخدرى ؓ عن النبي ﷺ قال {من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ما ينبغي لَه أن يتحفظ كفر ما قبلَه} . رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى السنن .

* * * * * * * *

فضل الجود وتلاوة القرآن فى شهر رمضان

فـى الصحيحين عن ابن عباس ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكـان أجـود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جـبريل الطيلا وكـان يلقـاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن)، ورواه الأمام احمد بذياده فى آخره وهى: لا يسئل عن شي الا أعطاه .

الجـود سعة العطاء وكثرته، والله تعالى يوصف بالجود، ومن أسمائه الجواد ـ بفتح الواو المخففة ـ .

وفى سنن الترمذى عن سعد بن أبى وقاص ﷺ عن النبي ﷺ {أن الله جواد يحـب الجـود كريم يحب الكرم} . وفى الترمذى أيضا عن أبى ذر ﷺ عن النبي ﷺ عـن ربـه تعـالى قـال {يـا عـبادي لو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسـكم اجـتمعوا فـى صـعيد واحـد فسـأل كـل إنسـان مـنكم مـا بلغت أمنيته، فأعطيـت كل سائل منكم، ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبره ثم رفعها أليه، ذلك بآني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد، عطائي كـلام وعذابـي كـلام، إنمـا أمـري لشي إذا أردت أن أقول لَه كن فيكون} . وكان النبي ﷺ أجود بنى آدم على الإطلاق كما فى هذا الحديث .

وفى الصحيحين عن أنس ﷺ قال كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الـناس وأجـود الـناس، وكـان جــوده ﷺ يتضـاعف فـى رمضـان ويـزداد، وذلك لأسباب :

إحداهـا: أن شهر رمضان موسم الخيرات لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره، فكان النبي ﷺ يوثر متابعة سنة الله فى عباده .

ثانـيها: أن الصـدقة فـى رمضـان أفضـل مـنه فـى غـيره لما جـاء فى سنن

الترمذى وغيره عن أنس عن النبي ﷺ {أفضل الصدقة صدقه فى رمضان} .

ثالثهما: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم فيستوجب ذلك مثل أجرهم، لما جاء فى سنن الترمذى والنسائي وابن ماجة عن زيد بن خالد الجهنى ﷺ عن النبي ﷺ قال: {من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء} . وفى رواية للنسائى وابن خزيمة فى صحيحه {من جهز غازيا أو جهز حاجا أو خلفه فى أهلَه أو فطر صائما كان لَه مثل أجورهم من غير ان ينقص من أجورهم شيء} .

رابعها: إن شهر رمضان شهر المواساة والتعاون والمساعدة، لما رواه ابن خزيمة والبيهقى عن سلمان الفارسي ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان قال: {يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليلَه تطوعا من تقرب فيه بخصلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان لَه مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء} . قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله ﷺ: {يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أولَه رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار من خفف عن مملوكه فيه غفر الله لَه واعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتان لاغناء بكم عنهما فأما الخصلتان اللتان لترضون بهم ربكم فشهادة أن لا إلَه إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار، ومن سقى صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة} .

فلَهذه الأسباب وغيرها كان جوده ﷺ يتضاعف فى رمضان، وينبغي لنا بل ويتأكد فى حقنا أن نقتدى به ﷺ فى فعل الخير وكثرة الجود فى هذا الشهر العظيم المبارك، لقد كان لكم فى رسول الله قدوة حسنه، وأما تلاوة القرآن فى شهر رمضان فلَها فضل كبير بل يؤخذ من هذا الحديث، كما قال النووي: أنها أفضل من سائر الأذكار، إذ لو كان ذكر أفضل منها أو يساويها لفعلَه النبي وجبريل صلي الله عليهما وسلم بدلا من مدارسة القرآن، وكان السلف يتلون القرآن فى شهر رمضان فى الصلاة وغيرها، وكان الأسود يقرأ القرآن فى كل ليلتين فى رمضان، وكان النخعى يقرأ القرآن فى كل ثلاث ليال فى رمضان، وفى العشر الأواخر يقرأه فى كل ليلتين وكان قتاده يختم القرآن فى سبع ليال دائما وفى رمضان فى كل ثلاث ليال وفى العشر الأواخر منه فى كل ليلة وكان يدرس القرآن فى شهر رمضان، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام.

وقال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، ويقبل على قراءة القرآن من المصحف.

وقال عبد الرازق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن.

وكان للشافعي ستون ختمة يقرأها فى غير الصلاة، وكذلك أبو حنيفة.

وقال سفيان: كان زبيد اليامى إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه.

وكانت عائشة آم المؤمنين رضى الله عنها تقراء في المصحف أول النهار فى شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت.

والمقصود أن شهر رمضان شهر القرآن ينبغي الإكثار فيه من التلاوة بقدر الإمكان، ومن الحكمة فى ذلك أن ينضم القرآن إلى الصيام فى الشفاعة للعبد يوم القيامة، لما جاء فى المسند عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: {الصيام والقرآن شفيعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشراب بالنهار، فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان} صححه الحاكم .

* * * * * * * *

ما أعطته هذه آلامه فى شهر رمضان

اخرج البيهقى عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: {أعطيت أمتي فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله ﷻ إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا وأما الثانية، فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لَهم فى كل يوم وليلة، وأما الرابعة فإن الله ﷻ يأمر جنته فيقول لها استعدى وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتي، وأما الخامسة فإنه إذا كان فى آ خر ليلة غفر الله لَهم جميعا} . فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر ؟ فقال: {لا ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالَهم وفوا أجورهم} .

وروى أحمد والبزار والبيهقى نحوه من حديث أبى هريرة، هذه خمس خصال أكرم الله بها الصائمين من أمة النبى ﷺ فى شهر رمضان .

أولَها: نظر الله إليهم فى أول ليلة نظرة عناية ورحمة، ومن نظر الله إليه كذلك لم يعذبه أبدا .

ثانيها: خلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك، والخلوف بضم الخاء وفتحها تغير رائحة الفم لما يحدث من خلو المعدة بترك الأكل، ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك أن الله يثيب عليه في الآخرة حتى تكون له رائحة أطيب من ريح المسك، وقيل ينال الصائم من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك عندنا .

وأخذ الشافعي من هذا الحديث ونحوه كراهة السواك للصائم بعد الزوال لأن السواك يذهب الخلوف الذي هو أطيب عند الله من ريح المسك، وأجازه مالك طوال النهار للصائم لأن الخلوف لو كان من المعدة فالسواك لا يذهبه، وأيضا فان المقصود من مدح الخلوف الثناء على الصوم وبيان مزيته .وليس المقصود نفس الخلوف فذهابه وبقائه سواء ..

ويؤيد مذهب المالكية ما رواه الطبراني بإسناد جيد عن عبد الرحمن بن غنم ـ بفتح الغين وسكون النون ـ قال سألت معاذ بن جبل أتسوك وأنا صائم ؟ قال: نعم قلت: أي النهار ؟ قال: غدوة أو عشية قلت: إن الناس يكرهونه عشية، ويقولون أن رسول الله ﷺ قال: {لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك} . قال: سبحان الله لقد أمرهم بالسواك وما كان بالذي يأمرهم أن ييبسوا أفواههم عمدا، وما في ذلك من الخير شيء بل فيه شر ..

ثالثها: استغفار الملائكة لهم، واستغفار الملائكة للمؤمنين ثابت بنص القرآن في قوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾(غافر: ٧-٩) .

والحكمة فى استغفار الملائكة للمؤمنين أنهم حين تكلموا فى بنى آدم ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾(البقرة: ٣٠) أمرهم الله بالاستغفار للمؤمنين منهم جبرا لما وقع، ففيه تنبيه على أن من تكلم عن غيره أن يستغفر له، ثم أن استغفار الملائكة للصائمين استغفار خاص يدل على مزيد العناية بهم .

رابعها: تزيين الجنة وإعدادها طوال شهر رمضان لاستقبال الصائمين القائمين .

خامسها: مغفرة الله لَهم ليلة العيد حين ينتهون من أداء صوم رمضان وقيامه ويكبرون الله على ما هداهم إليه من نعمة الصيام والقيام، وقد جاء فى حديث ضعيف عن ابن عباس عن النبي ﷺ {إن ليلة عيد الفطر تسمى ليلة الجائزة} . وذلك لأن الله يجزل العطاء للصائمين غداة العيد، ويشملَهم بعفوه وستره ورضاه

وهناك خصال أخرى غير هذه الخمس أكرم الله بها الأمه المحمدية فى رمضان منها:

١ـ عتق ناس من النار عند كل إفطار لما رواه أحمد والطبرانى والبيهقى عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال {لله عند كل فطر عتقاء} . وفى مسند البزار عن أبي سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {إن لله تبارك وتعالي عتقاء فى كل يوم وليلة ـ يعنى فى رمضان ـ وأن لكل مسلم فى كل يوم وليلة دعوه مستجابة} . وفى سنن الترمذى وابن ماجة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: {إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادى مناد يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة} .

والصحيح أن عدد العتقاء غير مقيد بعدد معين وجاء تحديده فى بعض الأحاديث بستمائة ألف، وفى بعضها بستين ألفا، وفى بعضها بألف ألف ولكن تلك الأحاديث ضعيفة مضطربة لا يصح الاعتماد عليها .

(تنبيه): شرط من يعتقه الله فى رمضان إلا يفطر على محرم فإن أفطر على محرم لم يكن لَه فى الإعتاق نصيب ، لما جاء فى معجم الطبرانى الصغير عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {أن لله عتقاء فى كل ليلة من شهر رمضان إلا رجلاً أفطر على خمر} .

ومنها: فتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب جهنم، وتصفيد الشياطين، وقد تقدم الكلام عليها قريبا .

ومنها: استجابة الدعاء: روى الطبرانى عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوماً وحضر رمضان: {أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهى بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله ﷻ} .

وفى المسند، وسنن ابن ماجة، والترمذى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لَها أبواب السماء ويقول الرب: ﴿ **وعزتي لا نصرنك ولو بعد حين** ﴾} . حسنه الترمذى وصححه ابن حبان، ولفظ رواية الترمذى {الصائم حتى يفطر} . والباقي سواء .

وفى سنن البيهقى بإسناد فيه ضعف عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: {إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد} . وكان عبد الله بن عمرو يقول عند فطره: اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شيء أن تغفر لي ذنوبي

باب الريان للصائمين

فى الصحيحين وغيرهما عن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال: {إن فى الجنة بابا يقال لـه الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد} . أكرم الله الصائمون فجعل لَهم بابا فـى الجـنة خاصا بهم لا يزاحمهم فيه غيرهم، وتلك مزية تدل على ما للصوم من الفضل عند الله تعالى .

****

الصوم جنه ووقاية

ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {قال الله ﷻ كـل عمـل ابن آدم لَه إلا الصوم فانه لي وأنا أجزى به والصيام جُنة ـ بضم الجـيم ـ، فـإذا كـان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتلَه فليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه} .

اخـتلف العـلماء فـى معنى قولَه تعالى {الصيام لي وأنا أجزى به} . مع أن الأعمال كلَها لَه ﷻ وهو الذي يجزى بها، وذهبوا إلى تأويل ذلك إلى مذاهب :

مـنها: أن الصـيام لا يقـع فيه رياء لأنه نية وإمساك، هذا رأى أبي عبيد، ويؤيـده ما رواه البيهقى فى الشعب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: {الصيام لا رياء فـيه} قـال الله ﷻ {هو لي وأنا أجزى به} إسناده ضعيف، ولو صح لكان قاطعا للـنزاع كمـا قـال الحـافظ، ومعنى أن الصوم لا رياء فيه أنه لا يدخلَه الرياء بفعلَه لأنـه لا يطلـع علـيه غـير الله تعـالى بخـلاف غـيره من الطاعات يدخل فى فعلها

الرياء لأنها أعمال تشاهد كالصلاة ونحوها، نعم قد يدخل الصوم من جهة الإخبار عنه كمن يصوم ثم يخبر الناس أنه كان صائما كما يحكى عن بعض المغفلين أنه كان كثير الصلاة فبينما هو يتنقل فى بعض مساجد الكوفة والناس يعجبون من كثرة صلاته وحسنها إذا التفت وقال لَهم وأنا مع ذلك صائما، فالصيام قد يدخله الرياء من جهة التحدث عنه لا من جهة فعلَه .

ومنها: أن الإضافة فى قولَه {الصيام لي} للتشريف والتعظيم كما يقال: المسجد بيت الله وإن كانت البيوت كلَها لله .

ومنها: أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب ﷻ، فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفه من صفاته، أضافه إليه .قال القرطبي: معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالَهم إلا الصيام فإنه مناسب لصفه من صفات الحق، كأنه يقول: إن الصائم يتقرب إلى بأمر يتعلق بصفة من صفاتي[١] .

ومنها: أن معنى تولـه {وانا أجزى بـه} أنـى انفـرد بعلم مقدار ثوابه. وتضعيف حسناته، قال القرطبي: معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير لقولَه تعالى ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ (الزمر: ١٠) . والصابرون الصائمون فى أكثر الأقوال، والصوم صبر لأن الصائم يصير نفسه ويحبسها عن سائر الشهوات، وهذا رأى سفيان بن عيينة وأبى عبيد .

هذا بعض ما اخترناه فى تأويل هذه الجملة من الحديث، وقد استقصى أبو بكر الطالقانى فى كتاب (حظائر القدس) وجوه التأويلات فيه فأوصلَها إلى بضعة وخمسين، ومعنى قوله {والصيام جُنّة} أى وقاية وستر من النار قال ابن العربي

---

(١) ومنها: أن الصوم لم يعبد به إلا الله تعالى فإن المشركين تقربوا لألَهتهم بركوع أو سجود أو تضرع ودعاء أو تقديم قربان ولم يتقرب أحد منهم بصوم لألَهته، فمعنى قوله الصوم لي أنه لم يعبد به غيري .

إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات، فمن كف نفسه عن الشهوات فى الدنيا كان ذلك ساترا لَه من النار فى الآخرة، ولكون الصيام جنة، والجنة تنخرق بالمعاصى عقب بقولَه {فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفُث} . بضم الفاء أى يتكلم بكلام فاحش {ولا يجهل} أى لا يفعل فعل الجهال، من الصياح والسفه ونحو ذلك، وفى رواية {ولا يصخَب} بالصاد والسين، وفتح الخاء، والصخب: الصياح وهو من فعل الجهال أيضا .

وفى رواية الطبري {ولا يسخر} وهى صحيحه فى المعنى[1] لأن السخرية بالقول أو الفعل جهل لقولَه {فإن سابه أحد أو قاتلَه فليقل إنى صائم إنى صائم}

وفى رواية سعيد بن منصور {فإن سابه أحد أو ماراه} أى جادلَه .

وفى رواية النسائي من حديث عائشة {وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه} . والمقصود من هذه الروايات ابتعاد الصائم عن كل ما يوقعه فى الإثم .

واختلف: هل يقول إني صائم بلسانه ويخاطب بها خصمه؟ أو يقولَها فى نفسه؟ جزم بالثاني المتولي من أئمة الشافعية، ونقلَه الرافعى عن الأئمة، ورجح النووي الأول فى الأذكار، وقال فى شرح المهذب: كل منهما حسن، والقول باللسان أقوى، ولو جمعهما لكان حسنا أهـ .

للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، أى فرح بزوال جوعه وعطشه، وهذا الفرح طبيعي أو فرح بفطره من حيث إنه تمام صومه، وخاتمة عبادته، ومعونة على مستقبل صيامه، ففرح كل واحد بحسبه {وإذا لقي ربه فرح بصومه} أى فرح بجزاء صومه وثوابه الذي يجده عند ربه ﷻ .

---

(١) وأن لم تصح رواية .

تنبيه: أخذا الحافظ أبن عبد البر من كون الصيام جنة من النار ترجيحه على سائر العبادات ويؤيده ما رواه النسائي وابن خزيمة عن أبي أمامه ﷺ قال: قلت يا رسول الله مرني بعمل، قال: {عليك بالصوم فإنه لا عدل لَه} بكسر العين، قلت: يا رسول الله مرني بعمل، قال: {عليك بالصوم فإنه لا مثيل لَه} قلت: يا رسول الله مرني بعمل، قال: {عليك بالصيام فإنه لا مثيل لَه}.

ورواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة قال: {عليك بالصوم فإنه لا مثيل لَه} قال: وكان أبى أمامه لا يرى فى بيته الدخان نهارا ألا إذا نزل بهم ضيف، وهو حديث صحيح، قال الحافظ ابن حجر: والمشهور عند الجمهور ترجيح الصلاة.

قلت: ويكفى دليلا على ترجيحها أنها فرضت ليلة المعراج والنبي ﷺ فى سدرة المنتهى، على أن عبارة ابن البر ليست صريحة فى ترجيح الصوم على الإطلاق والله اعلم.

* * * * * * * *

متى يكون الصوم جُنة ؟

تقدم أن الصيام جنه من النار، لكنه لا يكون كذلك إلا إذا سلم من آفات اللسان وغيرها من المعاصي كما جاء مبينا فى عدة أحاديث، ففي المسند عن أبى عبيدة بن الجراح ﷺ عن النبي ﷺ: {الصيام جنة ما لم يخرقها} . زاد الدارمى فى روايته بالغيبة وفى الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه} .

وفى المعجم الصغير للطبرانى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: {من لم يدع الخنا والكذب فلا حاجة لله أن يدع طعامه وشرابه} .

وفى المعجم الأوسط للطبرانى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {الصيام جنة ما لم يخرقها} قيل وبما يخرقها ؟ قال {بكذب أو غيبة} .

فبينت هذه الأحاديث أن الصيام الذي لا يسلم صاحبه من كذب أو غيبة أو قول زور أو نحو ذلك من المعاصي لا يكون مقبول عند الله، وبالتالي لا يكون جنة لصاحبه من النار..

* * * * * * * *

قصة الصائمتين اللتين اغتابتا الناس

أخرج أحمد وابن أبى الدنيا وأبى يعلي عن عبيد مولى رسول الله ﷺ أن امرأتين قد صامتا، وأن رجلا قال يا رسول الله أن هاهنا امرأتين قد صامتا وأنهما قد كادتا أن تموتا من العطش، فأعرض عنه أو سكت ثم عاد ـ وأراه قال بالهاجرة يعنى وقت الظهر ـ قال يانبى الله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا قال {ادعهما} قال: فجاءتا قال: {فجىء بقدح أو عُسّ} ـ بضم العين وتشديد السين ـ قدح

كبير، فقال لأحدهما {قيء} فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما حتى ملأت نصف القدح، ثم قال للأخرى {قيء} فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط - بفتح العين أى طرى - وغيره حتى ملأت القدح، ثم قال {إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس} .

ورواه أبو داود الطيالسى فى المسند وابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة والبيهقى عن أنس قال: أمر النبي ﷺ الناس بصوم يوم وقال: {لا يفطر أحد منكم حتى آذن له} فصام الناس حتى إذا أمسوا فجعل الرجل يجئ فيقول يا رسول الله إنى ظللت صائما فأذن لي فأفطر فيأذن له، حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين وأنهما تستحيان أن تأتياك فأذن لهما فلتفطرا فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فاعرض عنه، فقال: {إنهما لم تصوما وكيف صام من يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما وأن كانت صائمتين فليستقيا} فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة علقة من دم، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال {والذي نفس محمد بيده لو بقيتا فى بطونهم لآكلتهما النار} .

وقد أخذ الإمام الأوذاعى بهذا الحديث والذي قبله فقال: إن الغيبة تفطر الصائم وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم .

وحكى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وعن إبراهيم النخعى شيخ أبى حنيفة قال: كانوا يقولون الكذب يفطر الصائم وذهب ابن حزم إلى أن كل معصية كيفما كانت تبطل الصوم وتفسده، لكن الجمهور يرون أن المعاصي من غيبة وغيرها إنما تبطل ثواب الصوم وتذهب فائدته المترتبة عليه من قبول الدعاء وغفران الذنوب، وكفى بهذا خزيا وحرمانا، ولهذا حض السلف على صيانة الصوم وحفظه من الآفات .

فروى عن أبن أبى شيبة عن عمر بن الخطاب ﷺقال: ليس الصيام من الشراب والطعام وحده، ولكنه من الكذب، والباطل واللغو، وروى أيضا عن على كرم الله وجهه، مثلَه .

وروى أيضا عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: إذا صمت فليصم سمعك، وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم ودع أذى الخدم وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء . وقال أبى ذر ﷺ: إذا صمت فتحفظ ما استطعت

وكان أبو هريرة وأصحابه إذا صاموا جلسوا فى المسجد وقالوا: نطهر صيامنا

وقال ميمون بن مهران: أهون الصوم ترك الطعام والشراب .

* * * * * * * *

مضاعفة الحسنات والسيئات فى رمضان

ولا شك أن الحسنات والسيئات تضاعف بحسب الشخص والزمان والمكان، فالحسنة فى نفسها حسنة ولكنها من رجال الدين وأهل الحكم أحسن، والسيئة فى نفسها سيئة ولكنه ممن يقتدي به أسوا وكذلك بالنسبة للمكان والزمان، ولَهذا كانت الحسنات والسيئات فى شهر رمضان مضاعفة لحرمة هذا الشهر العظيم .

ففي معجم الطبرانى الأوسط والصغير عن أم هانى بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: {أن أمتي لم يخزوا ما أقاموا شهر رمضان} . قيل يا رسول الله وما خزيهم فى إضاعة شهر رمضان؟ قال: {انتهاك المحارم فيه من زنى فيه أو شرب فيه خمرا لعنه الله ومن فى السماوات إلى مثلَه من الحول فان مات قبل أن يدركه رمضان لم تبق لَه عند الله حسنه يتقى بها النار، فاتقوا شهر رمضان فإن الحسنات تضاعف فيه مالا تضاعف فيما سواه وكذلك السيئات} .

الصيام على أنواع

نقل ابن العربي المعافرى عن بعض الزهاد أن الصوم على أربعة أنواع:

صيام العوام: وهو الصوم عن الأكل والشرب والجماع .

وصيام خواص العوام: وهو هذا مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل .

وصيام الخواص: وهو الصوم عن غير ذكر الله تعالى وعبادته .

وصيام خواص الخواص: وهو الصوم عن غير الله تعالى فلا فطر لَهم إلى يوم القيامة وهذا النوع الأخير أحد ما أول به قولَه في الحديث القدسي السابق **((الصوم لي وأنا أجزى به))** . أى صوم خواص الخواص لأنه صيام عن جميع الكائنات وفطر على مشاهدة خالقها يوم القيامة، وهذا مقام عال كما قال الحافظ فلا ينبغي حصر المراد من الحديث فيه لندرة وقوعه، وإنما يؤخذ من الحديث بطريق الإشارة، ولعل قائلَه أراد ذلك لأنه منقول عن بعض الزهاد والله اعلم .

* * * * * * * *

المحروم من حرم خير رمضان

أخرج الحاكم عن كعب بن عَجْرة - بفتح العين وسكون الجيم - ﷺ قال رسول الله ﷺ: {احضروا المنبر} فحضرنا فلما ارتقى درجة قال: آمين، فلما ارتقى الثانية قال: آمين، فلما أرتقي الثالثة قال: آمين، فلما نزل قلنا يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه قال: {إن جبريل عرض لي فقال: بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت آمين، فلما رقيت الثانية، قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين، فلما رقيت الثالثة قال بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو إحداهما فلم يدخلاه الجنة قلت آمين} صححه الحاكم ولَه

طرق وألفاظ ومعنى (بعد) أبعده الله كما جاء فى رواية أخرى، ومن أبعده الله دخل النار ومعنى قولَه (أدرك رمضان فلم يغفر لَه) أنه قصر فى هذا الشهر بارتكاب المخالفات ولم ينَهم توبة حتى انتهي رمضان ولم يغفر لَه بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك، وفى رواية {ومن ذكرت عنده فلم يصلى عليك فأبعده الله}

وهذا يقتضي وجوب الصلاة عليه إذا ذكر اسمه وهو كذلك فإن تكرر ذكر اسمه فى المجلس مرات كفت الصلاة عليه أول مرة وقولَه {بعد من أدرك أبويه الكِبَرُ ـ بكسر الكاف وفتح الباء وضم الراء ـ عنده أو إحداهما ـ بفتح الدال ـ فلم يدخلاه الجنة} معناه أنه قصر فى حق والديه الكبيرين ولم يبرهما فاستحق البعد ودخول النار، نسائل الله السلامة والعافية .

* * * * * * * *

فضل السحور

فى الصحيحين وغيرهما عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {تسحروا فإن فى السحور بركة} ـ السحور بفتح السين وبضمها ـ وتوجيه ما فيه من البركة أنه اتباع للسنة، ومخالفة لأهل الكتاب ويقوى على العبادة .

وفى صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ {فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور} يعنى أن السحور هو الفارق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب لأن الله أباح لنا ما حرم عليهم ومخالفتنا لَهم تقع موقع الشكر على تلك النعمة .

وفى المسند بإسناد قوى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {السحور كلَه بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة ماء فإن الله ﷻ وملائكته يصلون على المتسحرين} . صلاة الله على عبده رحمته إياه، وصلاة الملائكة دعاء واستغفار .

تنبيهـــــــــــات

الأول: ينـبغي تأخير السحور وتعجيل الفطر وأن يكونا على تمر، أو فيهما تمـر، لمـا ورد فى ذلك من الأحاديث، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: {لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر} .

وفـى مسـند أبـى يعـلى عـن أنـس قال: (ما رأيت رسول الله ﷺ قط صلى المغرب حتى يفطر ولو على شربة من ماء)، صححه ابن خزيمة وابن حبان .

وفـى أوسـط معـاجم الطـبرانى بإسـناد صـحيح عـن ابـن عـباس ﷺ . قال: سمعـت رسـول الله ﷺ يقول: {إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نعجل فطرنا وأن نؤخر سـحورنا وأن نضـع أيمانـنا ـ بفـتح الهمزة ـ على شمائلنا فى الصلاة} . فالسحـور من سنن الأنبياء أعطاه الله لهذه الأمة إكراما لنبيها ﷺ .

وفـى سـنن أبـى داود عـن أبـى هريـرة إن رسول الله ﷺ قال: {نعم سحور المؤمن التمر} صححه أبى حبان .

وفى سنن أبي داود الترمذى وابن ماجة عن سلمان ابن عامر الضبي ﷺ عن الـنبي ﷺ قـال: {إذا أفطر أحدكـم فلـيفطر على تمر فانه بركة فإن لم يجد تمرا فالماء فإنه طهور} صححه الترمذى وابن حبان .

وفـى مسـند أبـى يعـلى عـن أنـس قال: كان النبي ﷺ يحب أن يفطر على ثلاث تمرات .

الـثاني: طعـام السـحور إذا كـان حلال من النعيم الذي لا يحاسب عليه لما روى الـبزار الطـبرانى فـى الكـبير عـن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: {ثلاثة ليس علـيهم حساب فيما أطعموا إن شاء الله تعالى إذا كان حلالا، الصائم . والمتسحر . والمرابط فى سبيل الله} . فى إسناده ضعيف .

الثالث: ينبغي للصائم عند إفطاره أن يقول: ما ورد فى ذلك ففي سنن أبى داود والنسائي عن ابن عمر ﷺ قال كان النبي ﷺ إذا أفطر قال: {ذهب الظماء وابتلت - بتشديد اللام - العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى} .

وفى أوسط معاجم الطبرانى عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: {بسم الله اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت} ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس وزاد فى آخره {فتقبل منى إنك أنت السميع العليم} .

وروى ابن السني عن معاذ بن زهرة كان النبي ﷺ إذا أفطر قال {الحمد لله الذي أعانني فصمت ورزقني فأفطرت} .

هذه جملة أذكار وارده يختار الصائم منها ما يشاء، فإن شاء أن يجمعها كلَها فليقل **{بسم الله الحمد لله الذي أعانني فصمت ورزقني فأفطرت، اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت، فتقبل منى إنك أنت السميع العليم، ذهب الظماء وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى}** .

وتقدم إن للصائم عند فطره دعوه ما ترد فلا ينسى أن يدعو بما شاء من الخير .

* * * * * * * *

قيام رمضان

فى الصحيحين عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: {من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر لَه ما تقدم من ذنبه} لاخلاف أن قيام رمضان مندوب وليس بواجب كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما .

عن أبى هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يرغب فى قيام رمضان من غير أن

يأمرهم بعزيمة ثم يقول {من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر لَه ما تقدم من ذنبه} . ثم اختلف بعد ذلك هل فعلَه فى البيت أفضل أو فى المسجد؟ فاستحب مالك أن يكون فى البيت لحديث {صلاة أحدكم فى بيته أفضل إلا المكتوبة} و لأنه أحوط لسلامة النية، واستحب غيره أن يكون فى المسجد لأنه فعلَه ﷺ ولأن عمر استحسنه حين رأى الناس عليه، قال الليث بن سعد: لو أقامه الناس فى البيوت وعطلوا المساجد منه أجبروا على الخروج لأن قيام رمضان من الأمر الذي لا ينبغى تركه، وبكونه فى المسجد أفضل، أخذ أحمد والحنفية وابن عبد الحكم من أئمة المالكية واختلف فيه أصحاب الشافعي .

* * * * * * * *

قيامه ﷺ بالناس فى رمضان

فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل فصلى فى المسجد – تعنى فى رمضان كما فى رواية البخاري – فصلى رجلا بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع أكثر منهم فخرج رسول الله ﷺ فى الليلة الثانية فصلوا بصلاته فأصبح الناس يذكرون ذلك فكثر أهل المسجد فى الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهلَه فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فطفق منهم رجال يقولون: الصلاة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى صلاة الفجر أقبل على الناس ثم تشهد فقال {أما بعد فإنه لم يخف على شأنكم الليلة ولكنى خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها} .

يؤخذ من هذا الحديث استحباب قيام رمضان جماعة فى المسجد وإنما تركه ﷺ رفقا بأمته لئلا يفرض عليهم وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم كما قال عنه خالقه ومولاه .

قال الزهري فتوفى رسول الله ﷺ والناس على ذلك – أى على ترك الجماعة فى القيام – ثم كان الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر ﷺ قال عبد الرحمن بن عبد ـ بالتنوين ـ القاري خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة فى رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط، فقال عمر: إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر: نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التى يقومون، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله، وهذا بدء اجتماع الناس على صلاة القيام فى المسجد .

* * * * * * *

عـــدد ركعات صلاة القيـــام

ثبت فى الصحيحين عن السيدة عائشة رضى الله عنها ـ وقد سألها أبو سلمة ابن عبد الرحمن ـ كيف كانت صلاه رسول الله ﷺ فى رمضان ؟ فقالت: (ما كان يزيد فى رمضان ولا غيره عن إحدى عشر ركعة، يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى أربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى ثلاثا، فقلت يا رسول الله: أتنام قبل أن توتر ؟ قال: {يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي} .

وأخرج ابن أبى شيبة الطبرانى عن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصلى فى رمضان عشرين ركعة والوتر، إسناده ضعيف قال الحافظ: وقد عارضه حديث عائشة هذا المخرج فى الصحيحين مع كونها أعلم بحال النبي ﷺ ليلا من غيره أهـ .

قلت: ويعارضه أيضا ما رواه أبي يعلى الطبراني في الصغير عن جابر ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ في شهر رمضان ثمان ركعات و أوتر، ، فلما كانت القابلة اجتمعنا في المسجد ورجونا أن يخرج إلينا فلم ينزل فيه حتى أصبحنا ثم دخلنا فقلنا يا رسول الله اجتمعنا في المسجد ورجونا أن تصلى بنا قال {إني خشيت أو كرهت أن تكتب عليكم} . في إسناده ضعف .

والمقصود: أنه لم يصح عن النبي ﷺ أنه صلى في رمضان اكثر من ثمان ركعات غير الوتر، فمن اقتصر عليها في قيامه فهو افضل، ومن زاد عليها فلا حرج، لأن الشرع لم يمنع من الزيادة على ثمان ركعات، لأنه ثبت عن السلف صلوا عشرين ركعة وأكثر وأقل .

فعن داود بن قيس قال أدركت الناس في إمارة أبان ابن عثمان، وعمر بن عبد العزيز - يعني في المدينة - يقومون بستة وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث، وقال مالك: هو الأمر القديم عندنا، وعن الزعفراني عن الشافعي قال: رأيت الناس بالمدينة يقومون بتسع وثلاثين، وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق، وعن نافع قال: لم أدرك الناس إلا وهم يصلون تسعا وثلاثون ويوترون منها بثلاث، وعن زرارة بن أوفي أنه كان يصلي بهم في البصرة أربعا وثلاثين ويوتر، وعن سعيد بن جبير أربعا وعشرين وقيل ست عشر غير الوتر وعلى هذا جرى العمل عندنا في المغرب يصلون بعد العشاء ثمان ركعات جماعة في المسجد ثم يعودون بعد السحور فيصلون ثمانية أخرى ويوترون بثلاث .

وقال الترمذى اكثر ما قيل فيه أنها تصلى إحدى وأربعين ركعة يعني بالوتر أهـ .

وعن السائب بن يزيد قال: كنا نصلي زمن عمر في رمضان ثلاث عشرة ركعة، قال ابن إسحاق هذا أثبت ما سمعت في ذلك أهـ .

قال الحافظ: وهو موافق لحديث عائشة فى صلاة النبي ﷺ من الليل أهـ .
والله اعلم .

* * * * * * * *

ليلة القدر

سميت ليلة القدر لتقدير الله تعالى فيها ما يكون فى تلك السنة من الأرزاق والآجال وغير ذلك، والمراد بقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا ﴾(الدخان:٣-٥) . وذهب الروافض إلى أن ليلَه القدر رفعت ولم يعد لَها وجود ولكن الذي اجمع عليه أهل ألسنة أنها باقية مستمرة إلى يوم القيامة، وإنما رفع تعيينها لا غير، وقد روى عبد الرازق عن عبد الله بن يخنس قال: قلت لأبى هريرة: زعموا أن ليلة القدر رفعت، قال كذب من قال ذلك .

وروى عن عبد الله بن شريك قال: ذكر الحجاج ليلة القدر فكأنه أنكرها، فأراد زر بن حبيش أن يحصبه ـ أى يرميه بالحصباء ـ فمنعه قومه .

* * * * * * * *

متى تكون ليلة القدر

اختلف العلماء فى تعيين ليلة القدر وفى أى ليلة تكون ؟ وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى وصلت إلى بضعة وأربعين مذهبا كل مذهب استدل صاحبه إلى ما ترجح عنده . واقرب الأقوال أنها فى رمضان وفى العشر الأواخر وإنها ليلة سبع وعشرين، وهو مذهب جماعة من الصحابة منهم أبى بن كعب وعمر وابنه و

حذيفة وهو الجادة من مذهب أحمد ورواية عن أبى حنيفة، وقول أكثر العلماء .

* * * * * * * *

علامة ليلـــــــة القـــدر

فى صحيح مسلم عن زر بن حبيش قال سمعت أبى بن كعب يقول وقيل لَه إن عـبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر: والله الذي لا إلَه إلا هـو إنهـا لفـى رمضـان· يحلـف ما يستثنى· والله إنى لا أعلم أى ليلة هي ؟ هي الليلة التى أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة صبيحة سبع وعشرين . وإمارتها أن تطلـع الشـمس فـى صـبيحة يومهـا بيضاء لا شعاع لَها وعدم شعاعها قيل لأن الملائكة عليهم السلام حجبته بكثرة اختلافهم فى النزول والصعود تلك الليلة بكل أمر حكيم وبالثواب والأجور، قالَه الآبي .

وفـى صـحيح مسـلم أيضا عن أبى هريرة قال تذاكرنا ليلة القدر عند رسول اللهﷺ فقال: {أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة ؟} . قال أبو الحسن القابسى: أى ليلَه سبع وعشرين فان القمر يطلع فيها بتلك الصفة .

وأخـرج الـبزار عـن أبـن عـباس قـال: قال رسول الله ﷺ: {ليلة القدر ليلة طلقة لا حارة ولا باردة} .

وفى المسند بإسناد رجالَه ثقات عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قـال {لـيلة القـدر فـى العشـر الـبواقى من أقامهن ابتغاء حسبتهن فإن الله تبارك وتعـالى يغفر لَه ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهى ليلة وتر تسع أو سبع أو خمسة أو ثالثة أو آخر ليلة} . وقال رسول الله ﷺ: {إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة كـأن فيها قمر ساطعا ساكنة لأبرد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمى فيها حتى

يصبح وإن إمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لَها شعاع مثل القمر ليلة البدر، لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ بلجة مشرقة} .

* * * * * * * *

استنباط ابن عباس تعين ليلة القدر

زعم ابن قدامة أن ابن عباس استنبط تعيين ليلة القدر من عدد كلمات السورة، وأن كلمة (هي) من قولَه (سلام هي) سابع كلمه بعد العشرين من قولَه (**إنا أنزلناه**) الخ، فتكون ليلة القدر ليلة سبع وعشرين، ونقلَه ابن حزم عن بعض المالكية وبالغ فى إنكاره، وقال ابن عطية : أن هذا من ملح التفسير وليس من متين العلم، واستنبط بعضهم ذلك من جهة أخرى فقال: ليلة القدر تسعة أحرف وقد أعيدت فى السورة ثلاث مرات فذلك سبع وعشرون أهـ .

وهذه الاستنباطات ليست من العلم فى شيء، ولم يصح ما نقل منها عن ابن عباس ولا غيره والمعروف أن استنباط المعاني من عدد الحروف والكلمات بحساب الجمل الكبير والصغير عادة يهودية، تلقاها، أصحاب الطوالع وضاربو الرمل وبنو عليها قواعد علمهم الكاسد، ثم اعتمدها فى هذا الزمان طوائف كافرة مثل البهائية لعنهم الله وجعلوها أس استدلالاتهم، وتطب رحى استنباطهم وهى فى الواقع لا تسمن ولا تغنى من جوع .

نعم استنبط ابن عباس ليلة القدر بطرق أخرى، فروى عبد الرازق الطبرانى وغيرهما عن ابن عباس قال: دعا عمر أصحاب رسول الله ﷺ فسألَهم عن ليلة القدر فأجمعا على أنها فى العشر الأواخر، قال ابن عباس: فقلت لعمر إنى لأعلم أو أظن إي ليلة هي ؟ فقال: أي ليلة هي ؟ فقلت: سابعة تمضى أو سابعة تبقى من العشر الأواخر، فقال عمر من أين علمت ذلك ؟ قلت خلق الله سبع سماوات

وسبع أرضين وسبعة أيام وأن الشهر يدور على سبع وخلق الإنسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمى الجمار سبع، وأشياء ذكرها فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له، وكان قتاده يزيد عن ابن عباس فى قوله ويأكل من سبع قال: هو قول الله تعالي ﴿ **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً** ﴾(عبس٢٧-٢٨) الآية .

قال الحافظ ابن كثير: إسناده جيد قوى ولكن المتن غريب جدا أهـ .

قلت: يعنى أن فى هذه القصة غرابة ونكاره وهو كذلك فالله أعلم بصحة هذا الكلام عن ابن عباس .

تنبيه: قال صاحبا الكافي والمحيط من الحنفية: من قال لزوجه أنت طالق ليلة القدر، طلقت ليلة سبع وعشرين لأن العامة تعتقد أنها ليلة القدر .

* * * * * * * *

قصة المتخاصمتان التى بسببها رفع تعين الليلة

فى الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال{خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة} . وفى رواية لمسلم {فجاء رجلان يختصمان معهما الشيطان} . وفى رواية ابن إسحاق أنه ﷺ لقيهما عند سدة المسجد فحجزا بينهما فكانت المخاصمة والملاحاة شؤما على ألأمه حيث رفع بسببهما تعيين الليلة والله أعلم .

* * * * * * * *

هل علمها النبي بعد نسيانها ؟

روى محمد بن نصر عن واهب المغافرى أنه سأل زينب بنت أم سلمه: هل كان رسول الله ﷺ يعلم ليلة القدر ؟ قالت لا ، لو علمها لما أقام الناس غيرها أهـ . قال الحافظ وهذه ما قالته احتمالا ، وليس بلازم لاحتمال أن يكون التعبد وقع بذلك أيضا فيحصل الاجتهاد فى جميع العشر أهـ .

قلت: والصحيح أنه ﷺ كان يعلمها وذلك لأمرين :

إحداهما: ما نقلّه البخاري فى الصحيح لقولّه تعالى : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ** ﴾ (القدر: ٢) . عن سفيان بن عيينة قال: كل شيء من القرآن ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ** ﴾ فقد أخبره به ، وكل شي فيه ﴿ وَمَا يُدْرِيك ﴾ فلم يخبره به أهـ .

ثانيهما: ما رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن عن عبد الله بن أنيس قال: يا رسول الله أخبرني أى ليلة تبتغى فيها ليلة القدر ؟ فقال{لولأ أن تترك الناس الصلاة إلا تلك الليلة لأخبرتك} .

وفى مسند البزار بإسناد رجالَه ثقات عن مرثد قال لقيت أبا ذر عند الجمرة الوسطى فسألته عن ليلة القدر فقال ما كان أحد بأسأل عنها منى قال: قلت يا رسول الله أنزلت على الأنبياء بوحي إليهم ثم ترفع؟ قال: {بل هي إلى يوم القيامة} . قلت: يا رسول الله أيتهن هي ؟ قال: {لو أذن لي لأنبأتك بها ولكن التمسها فى التسعَين والسبعَين ـ بفتح العين فيهما ـ ولا تسألني بعدها} . قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ فجعل يحدث، وقلت: يا رسول الله فى أي السبعين هي ؟ فغضب على غضبة لم يغضب على بعدها ولا قبلَها مثلَها، ثم قال: {ألم أنهك عنها لو أذن لي لأنبأتك بها ولكن ـ وذكر كلمة أن تكون فى السبع الأواخر} .

ففي هذا دليل على، أنه ﷺ أعلمها بعد أن نسيها ولم يؤذن لَه تعيينها لئلا

يتكل الناس ويتركوا العبادة طوال السنة اعتماد على أن ليلة القدر تكفر كل الذنوب .

* * * * * * * *

هل يخبر بها من رآها

ذكر تقي الدين السبكى فى الحلبيات استنباطا من قصة المتخاصمين التى أوردنها آنفا أنه يؤخذ منها استحباب كتمان ليلة القدر لمن رآها، قال ووجه الدلالة أن الله قدر لنبيه أنه لم يخبر بها والخير كلّه فيما قدر لَه فيستحب اتباعه فى ذلك. قال: والحكمة فيه أنه كرامة والكرامة ينبغي كتمانها بلا خلاف بين آهل الطريق من جهة رؤية النفس فلا يأمن السلب ومن جهة أن يأمن من الرياء، ومن جهة الأدب فلا يتشاغل عن الشكر لله بالنظر إليها وذكرها للناس ومن جهة أنه لا يأمن الحسد فيوقع غيره فى المحذور، ويستأنس لَه بقول يعقوب عليه السلام ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴾(يوسف: ٥) .

* * * * * * * *

كيف يراها الرائي

اختلف العلماء هل لَها علامة تظهر لمن وفقت لَه ؟ فقيل يرى كل شيء ساجد، وقيل يرى الأنوار فى كل مكان ساطعة حتى فى المواضع المظلمة، وقيل: يسمع سلاماً أو خطاباً من الملائكة وقيل علامتها استجابة دعاء من وفقت له واختار الطبرانى أن جميع ذلك غير لازم، وأنه لا يشترط لحصولَها رؤية شيء ولا سماعه، أهـ . والله اعلم .

هل كانت ليلة القدر فى الأمم قبلنا ؟

أختلف العلماء هل كانت ليلة القدر فى الأمم السابقة ؟ أو هي من خصائص هـذه الأمـة ؟ ففـي الموطأ قال مالك: إنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: إن رسـول الله ﷺ رأى أعمـار الـناس قـبلَه أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمـته لا يبلغوا من عمل مثل الذي بلغ غيرهم فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شـهر هكـذا جـاء مرسـلا، وروى مسـنداً مـن وجه آخر، وهذا يقتضي أنها خاصة بهـذه الأمة، وبه جزم ابن حبيب وغيره من المالكية، ونقلَه هو وصاحب العدة من الشافعية عن الجمهور وحكى الخطابي الإجماع عليه، ولكن الحديث على خلاف ذلك .

ففـي المسـند وسـنن النسائي عن أبى ذر قلت: يا رسول الله، أخبرني عن ليلة القـدر أفي رمضان أم فى غيره ؟ قال {بل هي فى رمضان} . قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة قال: {بل هي إلى يوم القيامة} .

وقـد تقـدم قريـبا وهـو صـريح فـى أن لـيلة القـدر كانـت موجـودة فى الأمم السـابقة، وإلـيه مـال الحافظـان ابن كثير وابن حجر العسقلانى، زاد الحافظ ابن حجـر أن مـا رواه مـالك واعتمـده الجمهور يحتمل التـأويل فلا يدفع الصريـح فى حديث أبى ذر أهـ .

والواقع أنه لم يرد حديث صريح يدل على اختصاصها بهذه الأمه، بل قولَه تعالى ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا ﴾(الدخان: ٤-٥) . يقتضي إنها لو كانـت فـى الأمـم السـابقة أيضـا وإنما الذي يعد من خصوصيات هذه الليلة إنزال القرآن فيها، والله أعلم .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

قيام ليلة القدر يكفر الذنوب

فـي الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال: {من قام ليلة القدر إيمانـا واحتسابا غفر لَه ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان احتسابا غفر لَه ما تقدم من ذنـبه} . زاد فـي بعض الروايات عند النسائي وغيره {وما تأخر} . وفى هذه الزيادة كلام استوعبه الحافظ فى كتاب {الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة} .

* * * * * * * *

هل يعطى ثوابها وإن لم يعلمها ؟

اخـتلف العـلماء هـل يحصـل الثواب المرتب على ليلة القدر لمن اتفق لَه أنه قامهـا وإن لم يظهـر لَـه شـيء ؟ أو يـتوقف ذلـك على كشفها لَه ؟ ذهب الطبري والمهلب وابن العربي وجماعة إلى الأول، وذهب الأكثر إلى الثاني .

قـال الحـافظ: ويـدل لَه ما وقع عند مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ {من يقـم لـيلة القدر فيوافقها} .

وفـى حديـث عباده عند أحمد {من أقامها إيمانا واحتسابا ثم وفقت لَه} . قال النووي معنى يوافقها أى يعلم إنها ليلة القدر فيوافقها ويحتمل أن يكون المراد يوافقها فى نفس الأمر وإن لم يعلم هو ذلك .

وفـى حديـث زر بن حبيش عن إبن مسعود قال: من يقم الحول يصب ليلة القدر وهو محتمل للقولين أيضا .

وقال النووي أيضا فى حديث {من قام رمضان} وفى حديث {من قام ليلة القدر} معناه من قامه ولو لم يوافق ليلة القدر، ومن قام ليلة القدر فوافقها حصل لَه، وهو جار على ما أختاره من تفسير الموافقة بالعلم .

قال الحافظ: وهو الذي يترجح فى نظري، ولا أنكر حصول الثواب الجزيل لمن قام لابتغاء ليلة القدر وان لم يعلمها ولو لم توفق لَه، وإنما الكلام على حصول الثواب المعين الموعود به، وفرعوا على القول باشتراط العلم جواز أن يعلم بها شخص دون شخص فيكشف لواحد ولا يكشف لآخر ولو كانا معا فى بيت واحد أهـ .

* * * * * * * *

هل تمكن رؤيتها

تقدم أن لَها علامات تعرف بها ويراها من وفقت لَه، ولكن ابن جرير الطبري لا يوافق على ذلك بل يرى فى إخفاء ليلة القدر وعدم تعيينها دليلا على كذب من يزعم أنه يظهر فى تلك الليلة للعيون ما لا يظهر فى سائر السنة قال: إذ لو كان ذلك حقا لم يخف على كل من قام ليالي السنة فضلا عن ليالي رمضان أهـ .

وتعقبه ابن المنير بأنه لا ينبغي إطلاق القول بالتكذيب لذلك بل يجوز أن يكون ذلك على سبيل الكرامة لمن شاء الله فيختص بها قوم دون قوم والنبي ﷺ لم يحصر العلامة ولم ينف الكرامة أهـ .

* * * * * * * *

أقل ما يحصل به قيام الليل

قال مالك فى الموطاء: بلغني أن سعيد بن المسيب قال: من شهد العشاء ليلة القدر ـ يعنى فى جماعة ـ فقد أخذ بحظه منها، وقال الشافعي فى القديم من

شهد العشاء والصبح ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها، وأخرج أبو الشيخ الأصبهانى ومن طريقه أبو موسى المدينى بإسناد ضعيف عن أبى هريرة مرفوعا {من صلى العشاء الآخرة جماعه فى رمضان فقد أدرك ليلة القدر} .

وروى ابن أبى الدنيا عن أبى جعفر محمد بن على مرسلا أن النبي ﷺ قال: {من أتى عليه رمضان صحيحا مسلماً صام نهاره وصلى وردا من ليله وغض بصره وحفظ فرجه ولسانه ويده وحافظ على صلاته فى الجماعة وبكر إلى الجمعة، فقد صام الشهر واستكمل الأجر وأدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرب} . وهو حديث ضعيف أيضا، وعلى كل ففضل الله واسع، ومن شهدا العشاء والصبح فى جماعه طوال شهر رمضان فالرجاء ألا يحرم من ليلة القدر وبالله التوفيق .

* * * * * * * *

هل يستحب الاغتسال ليلة القدر ؟

قال ابن جرير الطبري: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر، وكان إبراهيم النخعى يغتسل ويتطيب فى الليالي التى تكون أرجى لليلة القدر فأمر زر بن حبيش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان، وكان أيوب السختيانى التابعي يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة والتي تليها ليلتنا يعنى البصريين، وقال حماد بن سلمة: كان ثابت البنانى وحميد الطويل يلبسان احسن ثيابهم ويتطيبان ويطيبان المسجد بالنضوج والدخنة فى الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر، وقال ثابت البنانى: كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم وكان يلبسها فى الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر .

وروى عن أنس بن مالك أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب

ولبس حلة أزاراً ورداء . فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلى مثلَها من قابل .

قال الحافظ بن رجب: تبين بهذا أنه يستحب فى الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر . التنظيف والتزين والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك فى الجمع والأعياد .

قلت: ورد أن النبي ﷺ كان يغتسل فى العشر الأواخر من رمضان، وذلك لمكان ليلة القدر فأخرج ابن أبى عاصم بإسناد مقارب عن عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا كان رمضان قام ونام فإذا دخل العشر شد المئزر واجتنب النساء واغتسل بين الأذانين ـ أذان المغرب والعشاء ـ وجعل العشاء سحورا) .

وعن على ﷺ أن النبي ﷺ كان يغتسل بين العشاءين كل ليلة ـ يعنى من العشر الأواخر ـ فى إسناده ضعف .

وروى ابن عاصم عن حذيفة أنه قام مع النبي ﷺ ليلة من رمضان فاغتسل النبي ﷺ وستره حذيفة وبقيت فضلَه فاغتسل بها حذيفة وستره النبي ﷺ .

* * * * * * * *

هل للنفساء والحائط نصيب من ليلة القدر ؟

قال جوبير: قلت للضحاك أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم لَهم فى ليلة القدر نصيب ؟ قال نعم، كل من تقبل الله عملَه سيعطيه نصيبه من ليلة القدر، ومعنى هذا أن هؤلاء أحسنوا العمل فى شهر رمضان فتقبل الله منهم ومن تقبل الله منه لم يحرمه نصيبه من ليلة القدر والله أعلم .

* * * * * * * *

أى العمل أفضل فى هذه الليلة ؟

قال سفيان الثوري: الدعاء فى هذه الليلة أحب إلى من كثرة الصلاة، قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله فى الدعاء والمسألة لعلَه يوافق أهـ .

قال الحافظ بن رجب: ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التى لا يكثر فيها الدعاء وإن قرأ ودعاء كان حسنا، وقد كان النبي ﷺ يتهجد فى ليالي شهر رمضان ويقرأ قراءة مرتلَه لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر أهـ .

وقالت عائشة للنبي ﷺ (أرأيت ان وافقت ليلة القدر ما أقول فيها ؟) قال: {قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى} . فالدعاء مفضل فى هذه الليلة والله اعلم .

* * * * * * *

إحياء ليلتي العيدين

يستحب إحياء ليلة عيد الفطر وليلة عيد الأضحى بما تيسر من الذكر والصلاة لما ورد فى إحيائهما من الأحاديث والآثار فإنها وإن كانت ضعيفة يعمل بها فى مثل هذا الباب من فضائل الأعمال ففي سنن ابن ماجة عن أبى أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: {من قام ليلتى العيدين محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب} .

وروى أبو القاسم الأصبهانى فى كتاب الترغيب عن معاذ بن جبلﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {من أحيا الليالي الخمس وجبت لَه الجنة} . ليلة التروية، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان .

وفـى معجـم الطـبرانى الكـبير والأوسط عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قـال: {مـن أحـيا لـيلة الفطـر ولـيلة الأضـحى لم يمـت قلـبه يـوم تموت القلوب} .

ويـروى عـن عمـر ابـن عـبد العزيـز أنه كتب إلى عاملَه على البصرة: عليك بـأربع لـيال من السنة فإن الله يفرغ فيهن الرحمة إفراغا أول ليلَه من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة الأضحى .

وقـال الإمـام الشـافعي: بلغـنا أن الدعـاء يسـتجاب فـى خمـس لـيالي ليلة الجمعة، والعيدين، وأول رجب، والنصف من شعبان .

* * * * * * * *

هل يكون أحياء ليلتي العيدين فى جماعه

اخـتلف العـلماء هـل يسـتحب إحياء هاتين الليلتين فى جماعة أو لا؟ وعن الإمـام أحمـد فى ذلك روايتان قال فى رواية: لا يستحب إحياؤها جماعة لأنه لم يـنقل عن النبي ﷺ وأصحابه، وقال فى رواية أخرى: يستحب لفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك، وهو من التابعين .

* * * * * * * *

أقل ما يحصل به الإحياء

قـال الـنووي فى الأذكار: اختلف العلماء فى القدر الذي يحصل به الإحياء فالأظهر أنه لا يحصل إلا بمعظم الليل، وقيل يحصل بساعة أهـ .

* * * * * * * *

استحباب التكبير ليلة عيد الفطر

يستحب التكبير لبلة عيد الفطر لقولـه تعالى ـ وقد ذكر صوم رمضان ـ ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا الله عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(البقرة: ١٨٥) .

قال الحافظ بن كثير: ولهذا أخذ كثير من العلماء مشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية، حتى ذهب داود الأصبهاني الظاهري إلى وجوبه في عيد الفطر لظاهر الأمر في قوله ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا الله عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ . وفي مقابلته مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنه لا يشرع التكبير في عيد الفطر، والباقون على استحبابه على اختلاف في تفصيل بعض الفروع بينهم أهـ .

وفي كتاب المحلى لابن حزم الظاهري مسأله والتكبير ليلة عيد الفطر فرض، وهو في ليلة عيد الأضحى حسن، قال تعالي ـ وقد ذكر صوم رمضان ـ ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا الله عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ . بإكمال عدة شهر رمضان وجب التكبير، ويجزى من ذلك تكبيره، وأما ليلة عيد الأضحى ويومه ويوم الفطر فلم يأت به أمر، لكن التكبير فيه فعل خير وأجر أهـ

* * * * * * * *

كيفية التكبير

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: أصح ما ورد في صيغة التكبير ما أخرجه عبد الرازق بسند صحيح عن سلمان قال: كبروا الله، الله أكبر، الله أكبر كبيرا .

ونقل عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أخرجه جعفر الفريابي في كتاب العيدين، وهو قول الشافعي وزاد: ولله الحمد وقيل يكبر ثلاث، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلى آخره وقيل يكبر اثنتين،

بعدهما لا الـه إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، جاء ذلك عن عمر . وعن ابـن مسـعود نحوه، وبه قال أحمد واسحق ـ يعنى أبن راهوية ـ . وقد أحدث فى هذه الزمان زيادة فى ذلك لا أصل لَها أهـ كلامه .

قلـت: يكفى من ذلك الله أكبر ثلاث مرات فإن زاد فهو خير، وقد ورد عن أبـى هريـرة مـرفوعا {زيـنوا أعـيادكم بالتكـبير} . رواه الطـبرانى فـى الأوسـط والصغير، وهـو حديث ضعيف وفيه نكاره وإنما أوردناه هنا للتنبيه عليه حتى لا يغتربه. والله أعلم .

* * * * * * * *

يوم عيد الفطر يسمى يوم الجائزة

أخـرج الطـبرانى فـى الكبير، والحسن بن سفيان فى مسنده، عن سعيد بن أوس الأنصاري عن أبيه فل: قال رسول الله ﷺ: {إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكـة عـلى أبـواب الطـريق فـنادوا: أغـدو يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بـالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصـمتم، وأطعـتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم فإذا صلوا نادى منادى: إلا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة} . إسناده ضعيف .

ولَـه شـاهد مـن حديـث ابن عباس عند البيهقى وأبى الشيخ ابن حبان وقد تقـدم وشـاع بـين كـثير مـن الخطباء حديث يرددونه فى خطبة العيد ولفظه {من عصـى الله فـى يـوم عيد فكأنما عصاه يوم الوعيد} وهو حديث باطل لا أصل لَه، وليس فى الأحاديث ما يشهد لَه، والله أعلم .

* * * * * * * *

استحباب الأكل قبل الصلاة يوم عيد الفطر

فى صحيح البخاري عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلَهن وترا، ورواه ابن حبان والحاكم وغيرهما بلفظ ما خرج يوم فطر حتى يأكل تمرات ثلاث أو خمس أو سبع أو أقل من ذلك أو أكثر وترا، ومن الحكمة في تعجيل الفطر قبل الصلاة ما أشار إليه ابن أبى جمره وغيره، أنه لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم استحب تعجيل الفطر مبادرة إلى امتثال أمر الله تعالى ويشعر بذلك اقتصاره على القليل من ذلك، ولو كان لغير الامتثال لأكل قدر الشبع، والحكمة فى اختيار التمر ما فيه من الحلاوة المقوية للبصر بعد ضعفه من الصوم، ولعل الحلو مما يوفق الإيمان ويعبر به فى المنام ويرق به القلب وهو أيسر من غيره، ولَهذا استحب ابن سيرين ومعاوية بن قرة وغيرهما من التابعين أن يفطر على الحلو مطلقا كالعسل مثلا، وأما الحكمة فى الإيتار فلأن الله وتر يحب الوتر، ومن لم يجد تمرا ولا حلو فليفطر ولو على جرعة ماء .

* * * * * * * *

زكـــــاة الفطـــــر

أخرج ابن شاهين فى فضائل رمضان عن جرير ابن عبد الله البجلى قال: قال رسول الله ﷺ: {صوم شهر رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلا بزكاة الفطر} . قال ابن شاهين: حديث غريب جيد الإسناد .

قلت: إنما توقف رفع صوم رمضان على زكاة الفطر لأنها فرضت جبرا وتطهيرا لما عسى أن يصيبه الصائم من لغو أو رفث كما سيأتي فى الحديث بعده، فمن أراد رفع صيامه وقبوله فليعجل بزكاة الفطر .

حكمـــــة فرضيتهـــا

أخـرج أبـو داود وابـن وابـن ماجة عن ابن عباس ﷺ قال: فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطـر طهرة للصائم من اللغو والرفث، طعمه للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهـي زكـاة مقبولة، ومـن أداهـا بعـد الصلاة فهي صدقة من الصداقات، صححه الحـاكم، طهـرة وطعمـة، بضـم الطاء فيهما، يعنى أن الحكمة فى فرض زكـاة الفطـر تطهـير الصائم من اللغو والرفث، وإطعام المساكين فى يوم العيد، قال الخطـابي: قولَـه فـرض رسـول الله ﷺ زكاة الفطر فيه بيان أن صدقة الفطر فرض واجـب كـافتراض الزكاة الواجبة فى الأموال وفيه بيان أن ما فرض رسول الله ﷺ فهـو كمـا فـرض الله لأن طاعـته صادرة عن طاعة الله وقد قال بفرضية زكاة الفطر ووجوبهـا عامـة أهـل العـلم وقـد عللت بأنها طهره للصائم من الغلو والرفث فهي واجـبه عـلى كـل صـائم غـنى ذي جِـدة ـ بكسر الجيم أى يسار ـ أو فقير يجدها فاضـلة على قوته إذا كان وجوبها لعلة التطهير وكل الصائمين محتاجون إليه فإذا اشتركوا فى العلة، اشتركوا فى الوجوب .

وقد روى ابن خزيمة من طريق كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزني عن أبـيه عـن جـده قـال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (الأعلى: ١٤) . أى تطهر ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾(الأعلى: ١٥) . قال: {أنزلت فى زكاة الفطر} . هذا حديث ضعيف وهذه السورة مكية، وزكاة الفطر فرضت بالمدينة .

نعـم يصح أن يؤخذ ذلك من الآية بطريق العموم اللفظ وسريان علة التطهير كمـا ورد أن عمـر بـن عـبد العزيـز كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾(الأعلى: ١٤-١٥) .

وعـن أبى خلدة قال: دخلت على أبى العالية فقال لي: إذا غدوت غدا إلى العيد فمر بي فمررت به، فقال: هل طعمت شيئا ؟ قلت: نعم، قال: أفضت على

نفسك من الماء ؟ قلت: نعم قال: فأخبرني ما فعلت زكاتك ؟ قلت: قد وجهتها، قال إنما أردتك لَهذه ثم قراء ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾(الأعلى: ١٤-١٥) وقال إن أهل المدينة لا يرون صدقه أفضل منها ومن سقاية الماء .

* * * * * * * *

متى تخرج يوم عيد الفطر

أفضل وقت لإخراجها . قبل صلاة العيد كما تقدم في حديث ابن عباس، وروى الطبراني عن ابن عباس أيضا قال: كنا نأكل ونشرب ونخرج صدقة الفطر ثم نخرج إلى المصلى وفى الصحيح عن ابن عمر أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة، فإن أخرجت الزكاة إلى ما بعد صلاة العيد صحت عند الجمهور لان يوم العيد كلَه وقت لإخراجها وإن كان قبل صلاة العيد أفضل، فإن أخرت عن يوم العيد كان حراما كما لو أخرت الصلاة عن وقتها، ويكون إخراجها بعد ذلك قضاء .

* * * * * * * *

هل يشترط فيها النصاب

لا يشترط فى زكاة الفطر ملك النصاب كما فى زكاة المال بل من ملك زيادة على قوته وقوت من تلزمه نفقته قدر زكاة الفطر وجب عليه إخراجها لقولَه ﷺ: {صاع من بر على كل امريء صغير أو كبير حر أو عبد ذكر أو أنثى غنى أو فقير أما غنيكم فيزكيه الله وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى} . رواه أحمد، وأيضا فإن زكاة الفطر شرعت لتطهير الصائم، والفقير يحتاج إلى التطهير كما يحتاج الغنى، ويصح للفقير الذي أدى زكاة فطره أن يأخذ زكاة الفطر من

الغير باعتباره فقيرا لقولَه ﷺ: {وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى} .

* * * * * * * *

مقدار زكـــاة الـــفطر

في الصحيحين عن ابن عمر ﷺ قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة .

وفي الصحيحين أيضا عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنا نخرج في عهد رسول الله ﷺ يوم الفطر صاعا من طعام، قال أبو سعيد: وكان طعامنا الشعير والزبيب والأَقِط والتمر (والأَقِط بفتح الهمزة وكسر القاف ـ لبن مجفف يابس) والتمر، يستعمل عند العرب للطبخ .

اختلف العلماء في تقدير زكاة الفطر لاختلافهم في تقدير الصاع، فالصاع أربعة إمداد بمده عليه اليوم قدح وثلث على ما حرره الأجهوري شيخ الصلاة والسلام، وتحرير ذلك بالكيل المعروف المالكية في وقته، وعند الشافعية قدحان، وعند الحنفية قدح وسدس، والزكاة تكون من الطعام المعتاد في البلد قمحا كان أو غيره ويجوز دفع القيمة لأنها أيسر وأكثر فائدة، ويصح للمرأة أن تعطى لزوجها الفقير، ولا يصح للرجل أن يعطى زكاته لزوجته الفقيرة لأن مؤنتها واجبه عليه، ويجوز لفقيرين أن يدفع كل واحد منهما زكاته للآخر بشرط ألا يكون ذلك عن اتفاق سابق، أو عادة مستمرة، بل يكون على سبيل المصادفة، ومن سافر وأوصى أهلَه أن يخرجوا عنه زكاة الفطر كفاه ذلك ويستحب مع ذلك أن يخرج زكاة البلد الذي سافر إليه، فإن لم يوصهم، ولا اعتادوا أن يخرجوا عنه وجب عليه إخراج زكاة الفطر .

هل يصح إخراجها قبل العيد ؟

قال ابن مالك عن نافع : أن ابن عمر كان يبعث زكاة الفطر إلى الذي يجمع عنده قبل الفطر بيومين أو ثلاثة ، ورواه الشافعي عن مالك وقال : هذا حسن وأنا استحبه ـ يعنى تعجيلها قبل يوم الفطر ـ أهـ .

والمقصود أنه يجوز إخراج .زكاة الفطر قبل العيد بيومين أو ثلاثة عند المالكية . ويصح عند غيرهم إخراجها من أول رمضان والله أعلم .

* * * * * * * *

الدعاء يــوم العيدين

ورد حديث فى دعاء يقال يوم العيد ـ وهو وإن كان ضعيف ـ يقبل فى مثل هذا لأن الدعاء مطلوب فى القرآن والسنة ولم يرد تعيين نوع منه بخصوصه ، فالأمر فيه واسع وهذا نص الدعاء المشار إليه {**اللهم أنا نسألك عيشة تقية ، وميتة سوية ، ومردا غير مخز ولا فاضح ، اللهم لا تهلكنا فجأة ولا تأخذنا بغتة ، ولا تعجلنا عن حق ولا وصية ، اللهم أنا نسألك العفاف والغنى والتقى والهدى وحسن عاقبة الآخرة والدنيا ، ونعوذ بك من الشك والشقاق ، والرياء والسمعة فى دينك ، يا مقلب القلوب لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمه أنك أنت الوهاب**}



كتاب غاية الإحسان

فى فضائل شهر رمضان

وفضل زكاة الفطر

المحتـــــــويات

إشراف

محمد بن علي بن يوسف